سقوط بغداد...

◆ اليوم العشرون: الأربعاء 2003/4/9م

وقد أُشيع في هذا اليوم أيضاً خبر جديد مفاده أن «صدام حسين» قد أجرى صفقة مع الروس للهرب عبر سفيرها في بغداد.

ورصد الأمريكيون ذلك التحرك وقاموا بقصف موكب السفير الروسي لحظة خروجه من «بغداد» إلى «سوريا» ظناً أن الرئيس العراقي كان ضمن ذلك الموكب الدبلوماسي الروسي، وتبين لاحقاً أن «صدام حسين» لم يكن ضمن ذلك الموكب المتوجه إلى «سوريا».

وأهم ما ميَّز هذا اليوم من أحداث قيام «صدام حسين» بتوجيه آخر خطاب له، وكان بادياً عليه عدم الرضا عندما أدرك أن الخيانة باتت تحاصره وأن سلطته بدأت تتهاوى شيئاً فشيئاً من الداخل، وأن فصول المؤامرة قد بدأت وقال يومها: لقد وعدتموني وحلفتم الأيمان الغليظة أن تقاتلوا العدو حتى النهاية ولكنكم والله لم تقاتلوا كما وعدتم، لم يقاتل غير الفدائيين والقيادة (يقصد نفسه).

والمثير في هذا الخطاب أن الرئيس العراقي قد توقف يبكي أثناء الخطاب ثلاث مرات، ووعد أنه مستمر بالجهاد والقتال، وبالتكبير «الله أكبر» وليخسأ المجرمون. ثم توقف البث بعد السلام الجمهوري نهائياً وكانت هذه هي آخر كلمات «صدام حسين» قبل سقوط «بغداد».

ومعه سقط أكبر تمثال له كان شاخصاً في ساحة «الفردوس» مقابل فندق «فلسطين مريديان»، وقامت مدرعة أمريكية بسحب التمثال بحبل وتقدمت جموع من الناس الغاضبة لتكسيره إلى قطع عدة كان بحق مشهداً درامياً مؤثراً عرضته كل الفضائيات العالمية.

أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية عبره رسالة واضحة المعالم ولا تحتاج إلى تعليق.

وبذلك أصبح لا أمل بعودة «صدام حسين» إلى السلطة مجدداً، تلك السلطة التي كانت بقبضته طوال خمسة وثلاثين عاماً. وفي غفلة من أمره ذهبت بلا رجعة ليترك هذا الشعب وحيداً أمام غدٍ مجهول، الذي ستظهر تبعاته المؤلمة فيما بعد... سقط صدام... رحل صدام حسين... ماذا فعلنا لوطننا؟ وكيف استفدنا من الديمقراطية والحرية؟

وعاش هذا الوطن محنة جديدة تحت مسميات لم يكن يعرفها العراقيون فيما مضى حتى اتضحت مرارتها بعد الاحتلال ليتجرعوا مآسي القتل العشوائي والفتنة الطائفية والتطرف واستباحة الحرمات وانتشار عصابات التكفير والذبح والمفخخات في شوارع وأزقة بغداد، ولتتحول هذه العاصمة التي كانت في حماية أقوى سلطة مركزية عرفها العالم إلى مدينة الأشباح والجرائم المنظمة والاقتتال الطائفي، حتى تمنى العراقيون عودة الرئيس «صدام حسين» من جديد، ووجدوا لذلك مبررات كثيرة لعل أهمها أنهم أدركوا فوائد حكمه حيث كانت تتلألأ بغداد في عهده بالسلام رغم سيئاته التي كان ينظر لها البعض على أنها بمثابة طوق يخنقهم، وسرعان ما بدأت الصحوة العراقية تأخذ لها مكاناً لردع أعمال السلب والنهب والقتل والفساد ومقاتلة المهووسين والمشبوهين والمجرمين المنتشرين في شوارع بغداد وباقي مدن العراق الأخرى.

إن روح الخير والوطنية والغيرة والنخوة العراقية الأصيلة لم تمت بعد، رغم أنها مرت بمرحلة السبات والسكون والصمت، ولكن كل تلك الظواهر السلبية بدأت تختفي لتحل محلها القيم والمبادئ الشريفة لأبناء الشعب العراقي، رغم أن الأيام الخمسة التالية لسقوط بغداد ستبقى عالقة في أذهان الكثيرين لأنها أسوأ الأيام التي مرت عليهم بعد محنة الحرب القذرة التي شنتها عليهم قوات التحالف الدولي، ولكنّ جهود الطيبين والشرفاء والمخلصين من علماء السُنّة والشيعة وباقي الطوائف الأخرى الذين استنهضوا الهمة والحماس وضعت حداً لهذه التجاوزات وحمت أمن المواطنين بالإرشاد والمواعظ والتوجيهات التي تؤكد على حرمة الدم العراقي وماله وعرضه.

لقد كان هول الحدث ونتائجه بمثابة صدمة مروعة للعراقيين ولكنهم أثبتوا بما لا

يقبل الشك حبهم الكبير للعراق وأن ما حصل ويحصل اليوم في بلاد الرافدين من جل المعاناة والمآسي والمحن لم تختبر بها أي أمة أو شعب من شعوب العالم، بمن فيهم الذين عابوا على هذا الشعب شجاعته وبسالته التي أصبحت مضرب الأمثال ولو وضعوا في نفس الموقف الذي مر به العراقيون لانهاروا بسرعة كبيرة، قد لا يتجاوز من الزمن عدة ساعات فقط.

ظهور عصابات علي بابا والهرج والمرج في بغداد:

وذلك بعد انتهاء آخر المعارك في بغداد وهي معركة «الأعظمية»، الخميس 4/10 والتي كانت من العنف بحيث استمرت يوماً كاملاً بلا توقف إلى أن تم محاصرة المدينة من قبل قوات التحالف وقصفها من كل المحاور المؤدية إليها، ورغم ذلك لم يستطيعوا السيطرة عليها إلا نسبياً.

وفي صبيحة يوم الجمعة 11/4/2003م، بدأت أعمال السلب والنهب لعدم وجود دولة وسلطة تحمي البلاد، فبدأ اللصوص يتسابقون لنهب الجامعات والمدارس ومؤسسات الدولة، والمستشفيات والمكتبات والمصارف والمتاحف... حقاً إنه موقف مخزٍ يندى له الجبين، كيف وصلنا إلى هذه الدرجة من السقوط الأخلاقي المزري بعد سقوط النظام؟

لا أعرف بالضبط ماذا أصاب هذا الشعب!! لا يمكن أن نتخيل الوحشية والبربرية التي وصل إليها من أعمال قرصنة وسرقة وتدمير وتخريب للبلاد لا سيما في الأيام الثلاثة التالية من تاريخ سقوط بغداد، كانت بحق أعمالاً مشينة عمت أرجاء الوطن، وكان البعض يتصرف وكأنهم امتداد للاحتلال لإكمال ما بقي ليدمروه رغم النداءات والفتاوى التي تم توزيعها على الناس بتحريم هذه الأعمال وإيقاف عمليات تدمير العراق فوراً.

انبرى البعض تائباً عائداً إلى رشده وضميره، أما الآخرين ممن أغواهم الشيطان ولعب بعقولهم وضمائرهم فقد أعادوا إلى الأذهان الصورة البشعة التي تركها الغزو المغولي التتري أيام هولاكو وجنكيزخان، هؤلاء حتماً ليسوا بالعراقيين.. فمعظم العصابات التخريبية التي عاثت بالبلاد تدميراً وحرقاً كانوا من أجهزة مخابرات إقليمية معروفة بحقدها وكرهها لشعب العراق الطيب، وكان هدفهم الأساسي حرق بغداد عاصمة المجد وعنوان الأصالة العربية وتاريخها المشرق ومعالم حضارتها الزاهية وتراثها الأصيل، فقد حاول المتآمرون من خلال أعمالهم التخريبية تدمير حاضر

ومستقبل العراقيين وإنهاء دوره السياسي والاقتصادي والعلمي المؤثر والفعال على المستوى الإقليمي والدولي، تلك هي الصفعة الثانية التي بدأت بعد الغزو الأمريكي للعراق على أيدي زمر التخريب والحقد الأسود ليدمروا الوطن تحت يافطة حرق مؤسسات النظام البائد ليضيعوا ما بقي من إشراقة العراق وتاريخه.

فكل الأيدي الخبيثة التي عاثت بوطننا ونهبت خيراته وتواطأت مع الرعاع كانوا منهمكين لحرق ماضي وحضارة وتاريخ ومستقبل العراق، وهذا أمر واضح جداً لكل قاصٍ ودانٍ، فلصوص بغداد الصغار قد انشغلوا بأعمال السلب والنهب لتلك الطاولة وذلك الكرسي أو تلك الثلاجة أو هذا التلفزيون وغيرها من الأثاث المنزلي، وهو أمر طبيعي لبلد بلا أجهزة أمن وشرطة وقضاء، ولكن لم يكن في أجندتهم التدمير المتعمد أو الحرق وإنما كانت هناك أصابع وأيدي خفية خبيثة ملعونة تعمل في زحمة الحرب وتجد لنفسها طريقاً لتدمير وحرق وتخريب كل ما تصادفه عمداً مع سبق الإصرار، فهناك الكثير من الأماكن في بغداد لم يمر عليها السُراق والعابثين الصغار وُجِدَت تلتهمها نيران الحرائق المتعمدة، وفي الحقيقة أنها نيران الحقد والمؤامرة وهذا ما كنا نراه بكل وضوح في حرق المكتبة الوطنية ودار الكتب والوثائق ومكتبة الأوقاف النادرة وغيرها من الأماكن المهمة فضلاً عن الجامعات والمدارس، ولم تقتصر مهمة قوات الاحتلال على تسهيل عمل اللصوص الكبار المحترفين القادمين من وراء الحدود مع المتآمرين على البلاد فقط بل كانوا يكسرون لهم الأبواب التي كان من الصعب عليهم اختراقها فأصبح الأمر وكأنه فسحة حين أخذت دروعهم تتجول في داخل شوارع بغداد. ودأب الأمريكان على حراسة وزارة النفط ومؤسساتها وكذلك كنيسة ومستشفى الراهبات في «الكرادة الشرقية»، إلى جانب حراسة وزارة الداخلية العراقية التي كانت تحوي بعض الوثائق العسكرية المهمة فضلاً عن موقعها الاستراتيجي حيث تم اختيارها كمركز لتواجد قوات التحالف في قلب «بغداد»، ودون ذلك فإن كل ما كان موجوداً في مدينة بغداد قد أصبح مباحاً للصوص والناهبين والحاقدين من الدول الإقليمية التي لها مصلحة في أن يبقى العراق مدمراً غير قادر على حماية أرضه وخيراته، إنها مفارقة عجيبة مضحكة ومبكية في نفس الوقت،

لأنها تبدو عملية تحرير من نوع جديد - يشهدها العالم المتحضر في ظل إمبراطورية العصر أمريكا - لم يشهد التاريخ لها مثيلاً.

إن الاعتداء على العراق والمؤامرة الكبرى التي حيكت ضده في الظلام قد كشفت عن أمور عدة أولها هشاشة الوحدة العربية وافتضاح عورات وسلبيات الأنظمة العربية وأجنداتها في تدمير العراق، وفشل الاقتدار العربي ووهنهُ أمام المخططات والأهداف والاستراتيجيات الاستعمارية، كما اتضحت معالم الضعف الحقيقي للأمة العربية في الدفاع عن الإرادة والحق العربي، ولن يجدي من أي عربي اليوم أن يقول أو يعلن الأسف تجاه ما فعلته أمريكا وبريطانيا وحلفائهم بعدوانهم على أشقائهم في العراق، لأنهم ساهموا بما لا يقبل الشك في حمل نفس السكينة التي مزقت الجسد العراقي ليذبحوا بها شعبه المظلوم.

بينما تعلن بلجيكا وهي دولة أجنبية بعيدة جداً عن العراق شجبها واستنكارها للعدوان، وأظن أن بلجيكا غير العربية هي ليست أكبر من دول عربية كثيرة كان المطلوب منها أن تتجاوز مجرد الأسف إلى فعل قومي عربي مشرّف، أن يعبروا بشجاعة عن موقف حقيقي صميمي حيال ما يجري.

وإن أي ادعاء آخر لا يمكن أن يرتقي إلى مستوى من الممكن أن يولد القناعة لدى العراقيين بأن العرب قد وقفوا إلى جانبهم في تلك المحنة الكبرى التي مروا بها وهم يقاومون أعتى جيوش العالم لوحدهم بلا مناصرين ولا أصدقاء.

إن ما حدث في المنازلة ما بين العراق ودول التحالف يعد المنظر الجديد لمعرفة المواقف الإنسانية كما هو المقياس الجديد للمتخندقين في مواقع الإيمان.

فقد كشفت أمام الساعين لمعرفة الحقيقة مظلومية الشعب العراقي وفضحت الخدع التي حيكتها الصهيونية والإمبريالية العالمية من خطط تتلائم وفق مصالحها الحقيقية في منطقة الشرق الأوسط.

لقد أزاحت هذه المعركة طرف الغطاء الثقيل الذي كتم أنفاس العراقيين، وكشفت فعل الإعلام المزيف الذي كان يتابع أخبار اللصوص والقتلة ويترك فعل الكرام البررة،

لقد انبرى إلى شوارع بغداد ضعفاء النفوس ممن أجازوا الحرام وتركوا العمل بشرع الله.. فما لبثت أن انتهت الحرب وانجلت الصدمة ففوجئ العراقيون بصدمة أكبر حينما خرج اللصوص من جحورهم المظلمة ليعيثوا ببغداد فوضىً وخراباً ليست أقل من حجم الدمار الذي ألحقته قوات التحالف بما رمته من مئات الأطنان من القنابل الحارقة، حتى خرج الأقزام حاملين بأيديهم معاول الغدر والخسة والحقد ينهبون ويسلبون ويغتصبون وكأن بغداد ليست عاصمتهم وشاركوا الغزاة والمتآمرين في تدمير ما بقي حتى أسرة المستشفيات وحاضنات الأطفال الرضع وأجهزة القلب وغيرها من معدات المستشفيات المهمة تسرق أو تكسر. ولكن ما أثار دهشتي مشاهدتي لرجل يلبس لباساً عربياً جالس على كرسي في منطقة بغداد الجديدة في سوق تم تسميته (بسوق الحواسم) مفترش الأرض يبيع المسروقات وينادي بأعلى صوته... رحلات.. رحلات للبيع...

والرحلة هي التي يجلس عليها التلاميذ في المدارس؟! فانظر إلى أي درجة سقط فيها الضمير الإنساني في وحل الرذيلة حتى يقوم مثل هذا الرجل ببيع رحلات التلاميذ التي لم تنجو هي الأخرى من عمليات السلب والنهب... وللأسف لم يشعر هذا اللص وغيره ممن شاركوا في تلك الفوضى العارمة أنهم يسرقون أنفسهم، يسرقون أطفالهم وأهلهم وأحبائهم، وأن تلك الأموال هي ملك لهذا الشعب وأن التعرض لهذه الأموال وتبذيرها بهذا الشكل في ظل هذه الظروف إنما هي جريمة كبرى.

وهناك آخرون قد تشيئوا بسواعدهم على الأسلحة النارية يرفعون لافتات خطوها بأيديهم.. هذا مُلك فلان ابن فلان، أو أرض فلان ابن فلان.. أو أرض عائدة للعشيرة الفلانية... فقد كانوا يتميَّزون عن غيرهم بكونهم لصوص الأراضي والعقارات، يخولون لأنفسهم اغتصاب أراضي الدولة أو عقارات عائدة لمواطنين مهاجرين أو مواطنين لا يملكون القدرة على حماية ممتلكاتهم. ووصل الحد بهؤلاء اللصوص بأنهم كانوا يقتلون كل من يعترض طريقهم.

إنهم نوع جديد من لصوص بغداد لم تكن تعرف عنهم شيئاً من قبل، وللأسف هناك من شجَّعهم من رجال الدين بفتاوى تجيز لهم حق الاستحواذ على هذه الأراضي أو

العقارات بحجة أنها عائدة لصدام حسين أو اعتبارها جزء من حقهم قد سرقته منهم الحكومة البائدة وآخرون سطوا على المصارف والبنوك متذرعين بنفس الحجج تحت يافطة الفتوى الشرعية.

لقد كانت «بغداد» زمن الفوضى والهرج والمرج تعيش في ظل تجاوزات خطيرة على الإنسانية حيث ابتكر فيها اللصوص وطرقاً شتى ليعيثوا بالأرض ظلماً وفساداً.

فبعد أن كانت بيوتات الناس عامرة بالأمان في هذا الوطن الكبير وأسواقه عامرة بالخير، حوّلها هؤلاء المجرمون إلى خراب. ينشرون الرعب في الشوارع والأزقة من خلال قيامهم بإطلاق العيارات النارية على الأبرياء وكثيراً ما كان الناس يتساءلون: أين كانت تلك العصابات الإجرامية مختبأة؟ وأين كان هؤلاء الذين يدّعون المرجلة بالاعتداء على الناس الآمنين عندما قامت قوات المارينز الأمريكية بغزو بغداد؟!!.

لماذا كنا نجدهم يهربون كالفئران عندما يسمعون أصوات جنازير المدرعات الأمريكية. فلا عجب من ما يفعله هؤلاء الشراذم، بالأمس نهبوا الحسين عليه السلام في كربلاء واليوم ينهبون الحسين عليه السلام من جديد بلا خجل أو حياء. فمأساة كربلاء لا تفارق مشاهدها المؤلمة عيون العراقيين ولن ينسوا أبداً صوت الإمام زين العابدين عليه السلام عندما زار قبور الشهداء في كربلاء وهو يبكي بحسرة ونحيب ويقول مخاطباً جابر الأنصاري: يا جابر...

هنا قتلوا رجالنا

هنا قتلوا أولادنا

هنا حرقوا خيامنا

واليوم يعيش العراقيون نفس المأساة المؤلمة حيث أعادها الغرباء وسطو الكفار والمتآمرين والحاقدين والجبناء...

نعم هي تلك المشاهد المؤلمة نفسها عادت من جديد لتشهد أيام كربلاء ونعيش العزاء في كل مكان... قتلوا الرجال

وذبحوا الأولاد

وخربوا الديار

ونهبوا الأموال

وأصبحنا نعيش زمن عاشوراء نبكي ونعيد ذكريات الأحزان.. يا وطناً خانك الأوغاد وقدموك للجلاد ففرح الحساد والحاقدون واللصوص والأقزام في البلاد...

كانت طوابير المخربين تنتظر لحظة سقوط بغداد... يحملون بأيديهم معاول الهدم والحبال ليتسلقوا أسوار بغداد.. كانوا يتربصون بالأفراح كل صباح.. كانوا يخشون أن يثور الشرفاء رغم الجراح... كانوا يتربصون لقتل الفرحة في عيون الأبرياء ويسلبوا المسكين لقمة الخبز بعد العناء. ورغم الدمعات والآهات وطول المسافات تعالت في هذا الوطن العزيز أصوات.. وأصوات مصحوبة بالدعوات من الأمهات المثكلات بالشهداء... بكاء الأطفال وصرخات النساء وآهات الشيوخ ومهانة الرجال... القتلى... المذبوحين... المسلوبين... المقطعين... هنا وهناك في خضم المعارك في أم المهالك وسطو اللصوص في بغداد... يقتلون وينهبون في الأزقة والشوارع ويتعالى صوت الأمهات يلطمن الخدود ويضربن الصدور بالمناجاة... يا الله من ينقذ بغداد من مغول العصر؟!

لقد عاش العراقيون كذبة كبير حينما توهموا بأن المغول يوم دخلوا بغداد عام 656هـ قد خرجوا منها هاربين..

فهذه الأحداث الجسام التي مرت بنا وهزتنا من الأعماق جعلتنا نستفيق من حلمنا... من وهننا، لنكتشف أن التاريخ يكذب علينا وقادتنا أوهمونا بأن المغول قد تركونا منهزمين. ولكننا أيقنّا أنهم لا زالوا نائمين في بغداد.

هزتنا بعض الشكوك وقلنا: هل يمكن أن يكونوا هم أنفسهم الذين هربوا من أرض مصر والشام يوم أعلن «بيبرس» نصره المزعوم؟. ولكن أين كانوا يختفون؟ وبأي لباس كانوا يتنكرون؟ هل التاريخ شاركهم الخيانة؟ فألبسهم زي البغداديين ليخفوا حقيقتهم عنا طوال هذه السنين ليرجعوا من جديد إلى بغداد بلا مبادئ وقيم ودين؟

نعم قد حصلنا على الجواب أخيراً.. مع كل الأحداث كانوا في بغداد مختبأين... بين القبور والأنقاض وتحت الأسوار متأهبين أجل نريد أن نصحح ما زيفه التاريخ فكل

أحداث السلب والنهب والسطو والاغتصاب والذبح لا يقوم بها البغداديون.. إنما هم المغول الذين استيقظوا على رائحة الدماء وجيف القتلى في زمن الفوضى.

أجل سرعان ما رجعوا إلى أصلهم ليكشفوا عن وجوههم القبيحة التي لا تشبه سماحة ونقاء وجوه العراقيين الأُصلاء.

من جديد كانت طوابير فرسانهم تعيث بالبلاد حرقاً وقتلاً وتدميراً، يسلبون الأحرار حياتهم وأموالهم، وحرقوا بغداد كما في الماضي ومن جديد أسرعوا الخطى ليحرقوا بغداد...

فما الفرق بين المغول في الماضي ومغول هذا العصر.

فما الفرق بين البريء الذي يقتل بسيف الجلاد وبين البريء الذي يقتل بسيف من يدعي الجهاد...

فبالأمس قتلوا ونهبوا واليوم يعيدون الكرة بالعباد، إنهم المغول وجواسيسهم وعملائهم على أرض بغداد...

إدارة السفير جاي غارنر للعراق

بعد الانتهاء من صفحة الأعمال العدوانية وصفحة السلب والنهب الأولى تم إنشاء مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية برئاسة «جاي غارنر» الذي كان بمنصب مبعوث الرئيس الأمريكي الدائم في العراق.

وقد أساء «غارنر» إدارة إعادة الإعمار في الأسابيع الثلاثة الأولى، لذلك عملت واشنطن على تطهير شامل لمكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية بما في ذلك إقصاء «غارنر».

وفي الحقيقة كان التقصير لا يتحمله «غارنر» وحده بل الكثيرون ممن كانوا يعملون معه عندما سمحوا للناهبين واللصوص سرق بغداد.

وقد كانت الشبكات التلفزيونية المتنافسة على المشاهد التي تشدّ الانتباه ومنها القنوات الأمريكية مسرورة بما يبثها مراسلوها عن حجم الفوضى والسلب والنهب في شوارع بغداد. وكانت تلك الشبكات تعيد بث تلك المشاهد مراراً وتكراراً وهي تظهر رعاع ومجرمون وحاقدون يدمرون المباني الحكومية ويحملون الطاولات والكراسي والمكيفات والسجاد وكل ما تقع عليه أيديهم.

وأثناء اعتزام «غارنر» تعيين حكومة عراقية في 15/أيار/مايو كان عندها «بريمر» قد غادر جادة «جورج واشنطن» متوجهاً إلى «العراق»، فقد سلمهُ بوش في 9 أيار/مايو رسالة تعيينه مبعوثاً رئاسياً مع منحه سلطة تامة على موظفي الحكومة الأمريكية وأنشطتها وأموالها في العراق.

وتبعه رامسفيلد - وزير الدفاع الأمريكي - بتعيينه مدير سلطة الائتلاف المؤقتة وتفويضه بكل الأعمال التنفيذية والتشريعية والقضائية في العراق.

تلك الوثيقتان المهمتان جداً زوّدت «بريمر» بالصلاحيات الكافية التي يحتاج إليها

ليكون دكتاتور العراق الجديد للقيام بما شاء له، وبالتأكيد هو متلهف جداً للقيام بمهامه.

وقد كان هذا المنصب بالنسبة له حلم جميل قد تحقق أخيراً رغم ما يتخلله هذا الحلم من بعض الكوابيس المزعجة.

كان «بريمر» سفيراً سابقاً للولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان وأعد كأرفع موظف أمريكي في بغداد والمبعوث الشخصي للرئيس «جورج دبليو بوش».

إدارة السفير «بول بريمر» للعراق

اعتبر «بريمر» صاحب السلطة العظيمة الوحيد لبلد يبلغ تعداد سكانه خمسة وعشرون مليون نسمة، وقال لاحقاً في إحدى خطبه عندما كانت موجة أعمال العنف قد اجتاحت العراق كله بأنه لا يهتم أن يبلغ تعداد سكان العراق أربعة أو خمسة ملايين فقط لإقامة دولة ديمقراطية جديدة.

ومعنى الكلام واضح جداً رغم ما يكتنفه من الغموض في صياغة الخطاب.

نعم كان قرار القبول بهذا المنصب الرفيع صعب جداً، خصوصاً الابتعاد عن الأسرة والأحباب، ووطن مليء بالحرية والديمقراطية والرفاهية، إلا أن الشيء الوحيد الذي جعل «بريمر» يتحمّل تلك الرحلة الشاقة إلى «بغداد» بكل مفاجآتها ومعاناتها هي الأموال التي ستملأ حسابه المصرفي فيما بعد بأكثر من تسعة مليارات دولار، أقرت حكومة واشنطن صراحة باختفائها أيام سلطة «بريمر» في العراق.

إنه بالفعل رجل حاذق ذكي يعرف كيف يتصرف وكيف يتعامل مع المقربين إليه خصوصاً الذين كانوا ضمن إدارته، إلى جانب أنه لا يحب أن يشاركه أحد في اتخاذ القرار، فعندما سأله الرئيس الأمريكي قبل مغادرته إلى بغداد ماذا يمكنه أن يفعل لمساعدته في إدارة العراق.

أجاب بريمر:

أولاً: إن تجربتي في الحكومة وفي القطاع الخاص جعلتني من دعاة مبدأ وحدة القيادة، فلا يمكنني النجاح إذا كان هناك آخرون في العراق يقولون أيضاً أنهم يمثلون الرئيس، وكنت قلقاً على أوجه الخصوص من أن المسؤول في مجلس الأمن القومي «زلماي خليل زادة» - وهو يحمل أيضاً لقب «المبعوث الرئاسي» - قد زار العراق في أواسط نيسان/إبريل لمساعدة «جاي غارنر» في الاتصال بالقيادات

السياسية وتكوّن لديّ انطباع بأنه سيواصل زياراته للعراق بصفته مبعوثاً، ويضيف:

سيدي الرئيس، ذلك يعني أيضاً أنه يجب أن يكون لدي السلطة التامة لاستخدام كل موارد الحكومة الأمريكية من أجل إعادة إعمار العراق.

فأجابه الرئيس الأمريكي: أتفهّم ذلك وأوافق عليه.

تلك هي البداية... فقد نجح «بريمر» بإقصاء كل من «جاي غارنر» و«زلماي خليل زادة» ثعلب السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والذي يصبح فيما بعد السفير الأمريكي لدى العراق عند رحيل بريمر.

بعد انتهاء مدة سفارته التي انقضت بكثرة التصريحات الجوفاء الخالية من الحقائق فكثيراً ما كان يعلن عن أهمية حل المشاكل الغذائية وتعهد أن يكون ذلك أولى أولياته من القضايا الشاملة، إلا أن ذلك لم يحصل بالشكل الذي أعلن عنه، فقد تدهور الاقتصاد العراقي وقلت الخدمات حتى الحصة التموينية التي اعتمد عليها الشعب باتت شبه معدومة، والكهرباء أصبحت رديئة الصيانة فضلاً عن انعدام توفر الوقود في كل أنحاء البلاد وكل شيء أصبح في عداد أزمة عامة والشعب لا يعرف حقاً أين كانت تذهب مبيعات النفط؟!

وفي أكثر من مرة كان يعلق «بريمر» عن صعوبة ارتفاع الحرارة داخل القصر الجمهوري وبعدم وجود الكهرباء، بينما الحقيقة خلاف ذلك حيث كانت لديهم مولدات عملاقة تغذي القصر الجمهوري بالكهرباء بلا انقطاع على مدار الساعة والشعب العراقي يعيش في ظلام دامس تحت درجة حرارة تصل إلى أكثر من 45 درجة في فصل الصيف الجاف.

ومع أنه لم يكن وجهه يستطيع أن يخفي الحقيقة لكثير من الأمور ومنها قوله صراحة: «أجل إننا قوة احتلال لن نتحايل على ذلك»، إنها الصراحة الأمريكية بعيداً عن النفاق السياسي وكثيراً ما كان مكتب الإعمار والمساعدة الإنسانية الذي كان مقره القصر الجمهوري يعلن في معظم بياناته بأن عمله صعب جداً ويحتاج إلى الكثير من

الجهد. والواقع تتحمل الإدارة الأمريكية وزراً كبيراً في تردي الأوضاع في العراق لا سيما عندما تركوا البلاد تأن تحت وطأة العنف والنهب والسلب الذي خرب البنية التحتية. وجاء قرار الساسة في واشنطن متأخراً في اتباع سياسة جديدة تقتضي إعطاء الأوامر بإطلاق النار على الناهبين».

وذلك حين لم ينجو شيء من بين أيديهم حتى البنايات الحكومية دمروها وحرقوها، بعدما ساهمت معهم أيدي خفية ألحقت خراباً واسعاً بشكل متعمد، والحمد لله فقد نجت وزارة النفط لأن القوات الأمريكية أمرت بحراستها لأنها تحتوي على سجلات وبيانات عن حقول النفط الشمالية والجنوبية، وهي ميراث الحكومة الأمريكية وليس ميراث الشعب العراقي خلاف ما أعلن عنه «بريمر».

إلى جانب أن وزارة الداخلية العراقية هي الأخرى قد نجت من التخريب لأن القوات الأمريكية قامت أيضاً بحراستها والمحافظة على ممتلكاتها، ويبدو أنها كانت تحتوي هي الأخرى على بيانات وسجلات تهمّ التحالف.

لم يكن هناك شيء في بغداد يسرّ القلب ويبعث على الراحة... شبكة الكهرباء ومحطاتها سيئة جداً النفايات المتكدسة تملأ شوارع بغداد، الجثث المتحللة هنا وهناك، ومعظم المدارس والجامعات مقفلة. موارد المياه الصالحة للشرب متدنية جداً ولا تزال العديد من المستشفيات والمستوصفات تعمل ولكن بأسلوب وخدمات رديئة جداً.

أما الشرطة التي من المفروض أن تكون في خدمة الشعب وتطارد اللصوص والمجرمين نراها على العكس من ذلك فإما أن يكونوا في خدمة الجناة أو هم أنفسهم ينقلبون في الليل إلى قطاعي طرق، فبدلاً من أن يحموا الشعب نراهم هم أنفسهم يساهمون في تدمير وقتل ونهب الشعب، وللأسف الشديد أن سلك الشرطة قد ضم في صفوفه الكثيرين من عتاة الجريمة ممن أخرجتهم الحكومة العراقية من السجون، والمعروف عنهم أنهم أصحاب سوابق إجرامية وهم خطرون جداً على المجتمع.

فكيف ستكون الحال عندما يعمل هؤلاء الرعاع على حماية القانون، فالشرطة كانوا

عديمي النفع والفائدة، أما الذين يتمتعون بالنزاهة والأخلاق للوطن فقد كانوا غير مدربين ويخشون مواجهة المجرمين في شوارع بغداد.

لذا فإن ازدياد جرائم الخطف والنهب والاغتصاب والقتل الوحشي قد شكل خطراً كبيراً على الناس، ومع أن قرار «بريمر» جاء متأخراً إلا أنه أقر بضرورة تعزيز الشرطة العراقية وتدريبها جيداً وتسيير دوريات أمريكية أكثر قوة في شوارع «بغداد» وهذا ما استدعى وصول آلاف من الشرطة العسكرية الأمريكية المسلحة لحماية المواطنين في شوارع «بغداد» التي أصبحت لا تطاق.

واستغل «بريمر» سلطته من خلال دعوته إلى دفع عجلة الاقتصاد وشراء المحاصيل الغذائية إلى الشعب العراقي ولكن هذا القرار كان بمثابة دفع العجلة إلى الوراء لأن الأموال التي حصل عليها عند امتلاكه لسلطة الحاكم الوحيد كانت كبيرة جداً.

وهذا ما يفسر المحاورة التي قابله بها «داسيلفا» مسؤول مكتب الأمم المتحدة في العراق والمشرف على برنامج النفط مقابل الغذاء.

حيث قال «راميرو داسيلفا» لـ «بريمر»: سعادة السفير إن أموال النفط مقابل الغذاء مُلك للحكومة العراقية ولا يمكنني تحريرها بدون موافقة الحكومة.

فأجابه: أنا الحكومة العراقية الآن.. وإنني أطلب من الأمم المتحدة نيابة عن تلك الحكومة تحرير هذه الأموال على الفور. وأمام الصحافة أعلن «بريمر» بأن الأمم المتحدة مستعدة لصرف المزيد من أموال الشعب العراقي على احتياجاته العاجلة بالاتفاق على استخدام أموال النفط مقابل الغذاء لشراء محاصيل الحبوب وغيرها... وفي الحقيقة كانت صفقة رابحة بين الطرفين.

ولا نعرف أين ذهبت تلك الأموال.. فالعراق لم يستفد من أي دولار منذ انطلاقه للحرية وبعد أن قادوا عنه مسيرة التحرير.

وكان «بريمر» تنتابه الفرحة الغامرة عندما كانوا يسمونه «ملك آثر بغداد» وقد كان ملكاً بالفعل.

لقد كان من أولى أولويات حكومة «بريمر» إعادة إنتاج النفط الخام والوقود ثانية، وكلا الأمرين مهم جداً بالنسبة للولايات المتحدة، ويفرض عليهم تحدياً صعباً، ليس بوضع الشعب العراقي واقعاً ضمن التحدي وإنما كيفية إقناع الدول الكبرى الأخرى بحصصهم التي سوف تبرمجها لهم الإدارة الأمريكية وبالتأكيد إن تلك الأولويات قد تم الإشارة إليه في تصريحات «بريمر».

إن إدارة «بريمر» لم ترغب في جعل النفط بمثابة الدم الذي يغذي الاقتصاد العراقي لينهض معافىً ولكنه أراد أن يجفف هذا الدم عن الجسد العراقي ليموت، بينما تتدفق في الخفاء لتغذي الاقتصاد الأمريكي والبريطاني ودول الحلفاء، وهذا ما أكدته الصحافة العالمية مراراً وتكراراً بأن العراق يعد ثاني أضخم الاحتياطات النفطية في العالم، نحو 112 مليار برميل، والحقيقة أن بريمر رجل شجاع ويمتلك نوعاً من الشجاعة العنيدة التي تميزت بها شخصيته.

واستطاع من خلالها إدارة البلاد بشكل دقيق رغم السرقات الصريحة بعض الأحيان، ولكن المشكلة الأسوأ هو الجلوس والمراقبة بصمت لتصدير هذه المادة فيما يقف العراقيون في طوابير ولأيام للحصول على البنزين، وطوابير أخرى للحصول على النفط الأبيض والغاز، أما الخبر الأسوأ فإن أسعار هذه المواد أصبحت خيالية بالنسبة للعراقيين مقابل التدهور السريع للوضع الاقتصادي للبلاد.

ويبدو أن الطوابير الكبيرة لم تثر انتباه أحد من العاملين في إدارة «بريمر»، رغم ارتفاع الأصوات ولكن دون أن يكون هناك من يستمع إليها.

أين تذهب نفقات الحكومة؟ ومن يتحكم بها؟

كنا نأمل أن تغطي بعض المصروفات الحكومية تحريك عجلة الاقتصاد وكان من الممكن القيام بذلك على الرغم من أن المهمة لم تكن سهلة ولكنها لم تكن بالمستحيلة، فقط كانت تحتاج إلى أيادٍ نظيفة وموازنات صحيحة وواقع نظامي مصرفي سليم لتوزيع الأموال، وفي ظل الفوضى العارمة كان هناك تسريب لأموال العراق بلا رقابة أو حسيب

وما باليد حيلة لأننا ليس بوسعنا أن نفعل شيئاً، وعلينا أن نترك الملك كما تركنا ملكاً قبله يتحكم بهذه الثروة على هواه.

فالوضع في بغداد من الصعوبة أن يتحسن بل أصبح من المستحيل أن نواجه يوماً نشعر فيه أن لا مشكلة تؤرقنا، وكل من يشكك بذلك كاذب إلا أن المشكلة الجديدة التي أصبحت الأكثر إلحاحاً هي البطالة، فالشعب يعاني من خلل وظيفي وفرص العمل باتت ضعيفة جداً.

ولكني لا زلت متفائلاً من الوضع الإجمالي في العراق وذلك لسببين أولاً: يوجد في العراق موارد ممتازة والكثير من الماء على الرغم من أن الجارة تركيا كثيراً ما تهدد بقطع الماء من خلال بناء السدود الكبيرة بغية الضغط على الحكومة لكسب المزيد من التسهيلات للحصول على النفط والغاز العراقي.

ثانياً: إن الشعب العراقي شعب ماهر يملك إرادة قوية، قادر على أن يعيش، وفي المقابل إن الانهيار الذي يهدد مستقبل هذا الشعب هو انهيار مفهوم الديمقراطية التي تريد الإدارة الأمريكية تبليغها. كما يجب أن نفهم أن مقدار التحطم النفسي لهذا الشعب ليس في صالح الجميع.

لذا يجب البحث عن سيناريو أفضل لوضع خطط إصلاح الاقتصاد متزامناً مع بدء عملية الإصلاح السياسي، على أن يكون قرار البدء لا يترك مجالاً للتذبذب على الرغم من الحاجة الماسة إلى دستور جديد يتضمن في بنوده مستقبل العراق.

لذا فالشعب ليس بحاجة إلى الديمقراطية حتى ولو كانت مصنوعة بخيوط من ذهب لأنهم بحاجة إلى تصميم نظامهم الاقتصادي وتوفير الأمن قبل أي نقاش في أية استراتيجية أخرى، وخلاف ذلك سيكون الخيار صعباً ويحتاج إلى وقت طويل والوضع لا يتحمل البطء بل يحتاج استراتيجية سريعة للسماح بالوقت الكافي لتوفير احتياجات الشعب الإنسانية.

إن التحذيرات التي كانت توجهها الإدارة الأمريكية محقة في ظل تكلم السياسيين العراقيين وتشديدهم على نقل السلطة، وفي نفس الوقت فإن للسياسيين مبرراتهم

المقبولة لا سيما محاولة السيطرة على البلاد بعد زيادة نفوذ الإسلاميين المتطرفين ما يشكل خطراً جديداً يهدد العراق وأمنه.

لذا فإن «بريمر» كان من ضمن المؤيدين في أن تسير العملية السياسية ببطء لتعزيز السلطة العراقية، على الرغم من النقاش الحاد في أروقة القصر الجمهوري بضرورة التحرك بسرعة لإنشاء الحكومة العراقية وإن كانت مؤقتة للانطلاق في إعلان الدستور وإجراء الانتخابات، ولسوء الحظ أن السياسيين لا زالوا منقسمين وغير متوافقين مع بعضهم البعض في اجتماع يخرجون فيه بأطروحات جديدة ولكن واقع الفشل مفروض عليهم دائماً.

ونرجع من جديد إلى موقف الأمم المتحدة ومبعوثها لدى العراق البرازيلي «سيرجو دي ميلو»، ويبدو أن الأمم المتحدة كانت لا تحظى بالمحبة في العراق نظراً لأنها كثيراً ما أغمضت عينيها عن الفساد الذي اكتنف برنامج «النفط مقابل الغذاء» أيام حكم الرئيس «صدام حسين»، ومن جديد لم تكن مهمتهم تتوافق مع تطلعات الشعب العراقي واستعادة الثقة، وإنما عملت من جديد على إغماض عينيها وتعاطفت مع «بريمر» وسمحت بتلاعبه بمليارات الدولارات استناداً إلى صلاحياته كحاكم للعراق.

وفي خضم الاستعدادات السياسية لإعلان الائتلاف عن إنشاء مجلس للحكم في العراق لم تتوقف الصحافة ووسائل الإعلام العربية من الطعن بها وبعدم مشروعيتها، إلا أن السياسيين العراقيين كانوا يردّون عليها بشجاعة، وكثيراً ما كان ردهم يبعث برسالة واضحة مفادها توقفهم عن تقديم النصح إلى العراقيين ومحاربة الأمريكيين، كما أكدوا على عدم التحدث عن عودة «صدام حسين» لأن ذلك الأمر أصبح مستحيلاً وقد انتهى زمنه. وكانت تصريحات السياسيين العراقيين تعبر عن ثقة قوية للإرادة العراقية في السيطرة على الوضع وكان ذلك يبعث ارتياحاً لدى «بريمر» وتخفف عنه بعض الأعباء.

إلا أن التخريب المتواصل لأنابيب النفط وما نتج عنه من تراجع حاد في عائدات الصادرات النفطية أصبح يشكل مشكلة جديدة لإدارة «بريمر» ولم تكن تلك الخسارة في

التوقعات، فضلاً عن كشف جديد لتقرير الاستخبارات عن ما يحدثه تهريب الوقود من العراق من أضرار كان يتطلب ذلك حلاً سريعاً.

ذلك الحل ليس من أجل العراقيين وتقدم اقتصادهم وجعلهم يتمتعون بعائدات النفط، وإنما من أجل المصالح الأمريكية البحتة في استثمار النفط العراقي.

لقد كانت مساعي تسريع إعادة تأهيل الاقتصاد العراقي بطيئة جداً، وكان الروتين أحد أسبابها واتضح فيما بعد أنها سياسة ناجحة لتحقيق الأهداف المرجوة لإدارة «بريمر». وكان البلد المحطم يشهد العديد من الأزمات لأن العائدات النفطية لم تغطي المصاريف الحكومية العراقية وهو أمر مشكوك فيه وأن ما يجري بالفعل أمر يبعث على الضحك، ورغم ذلك فإن الكثير من هذه العائدات كانت تذهب سراً إلى جيوب وخزائن أطراف عديدة ولا يبقى للشعب العراقي سوى أوراق رسمية مكتوب فيها «لا توجد مبالغ للصرف».

وكانت أسرع قضية حلت في مجلس الحكم بإدارة «بريمر» هي تحديد رواتب أعضائه في حين بقيت كل القضايا الأخرى مدرجة على هامش الجلسات تنتظر الحل.

والمفارقة المضحكة أن يتوافق هذا الأمر في حكومة رئيس الوزراء «نوري المالكي» عندما توصل مجلس النواب إلى الاتفاق بالإجماع وبشكل ملفت للنظر حول تحديد رواتبهم وامتيازاتهم في حين كان المجلس لا يجتمع بالاتفاق على أية قضية أخرى بل إن معظم القضايا أصبحت مدرجة على هامش الجلسات تنتظر الحل كما حصل في أيام مجلس الحكم بإدارة «بريمر».

كان «بريمر» رجلاً ذكياً قادراً على الإقناع وقادراً على إنجاز أعماله بدقة، يتطرق إلى المواضيع بمنتهى التركيز دون ذكر التفاصيل المملة، وكثيراً ما كان يمتلك قدرة التحرك الصحيح في العمل لصالح الولايات المتحدة الأمريكية فبعد مراجعة الموقف في تدارك مشكلة الناهبين والمجرمين الطلقاء في شوارع «بغداد» بدأت مرحلة جديدة أمام «بريمر» من أجل محارب رجال المقاومة العراقية أو المتمردين كما تسميهم الإدارة الأمريكية أو الجماعات الإسلامية المتطرفة، ويبدو أن تحقيق الهدف الثاني لن يكون

سهلاً لأن هؤلاء المتمردون يعرفون ماذا يفعلون؟ لذا كان على «بريمر» التخطيط سريعاً من أجل بدء تدريب القوة الكافية من الشرطة العراقية الجديدة وتجهيزها جيداً للقيام بمهامها في ردع رجال المقاومة العراقية، إلا أن هذا الإنجاز يحتاج بالطبع إلى وقت طويل، لأنه لا يوجد مكان واحد هادئ على طول البلاد وعرضها يمكن إجراء تدريب لتلك القوات بالشكل المناسب، وهذا يؤكد مدى هشاشة الأمن في بغداد، لذا كان القرار اختيار العديد من البلدان لإدارة برنامج التدريب، وكانت الأردن واحدة من بين هذه الدول وكان ذلك القرار واحد من الأسباب التي فتحت أبواب العطاء بسخاء من عائدات النفط التي كانت تستقطع من قوت العراقيين لتوهب إلى هذه الدول التي أطلق عليها تسمية الدول الصديقة أو المساندة للتحالف.

وأخذت الأوضاع في العراق تزداد غموضاً وتناقضاً وفوضى وازدادت الأعمال الإرهابية التي أخذت تأخذ منحنىً منظماً، فبعد الهجوم على مقر الأمم المتحدة، حصل هجوم إرهابي كبير آخر استهدف المرجع الديني الكبير آية الله السيد «محمد باقر الحكيم» في مدينة «النجف الأشرف» سقط على أثره أكثر من مئة قتيل وجريح.

لقد كان «بريمر» سعيداً في تعيين الكثير من الموظفين في مواقع مهمة في الدولة العراقية كانوا مقربين من الشخصيات السياسية المعروفة، وكان الجميع بالتأكيد خاضعين للاحتلال إلا أنهم كانوا سعداء مستمتعين جداً بما حصلوا عليه من مناصب وسلطة ورواتب ضخمة كانوا يحلمون بها وكانت أغلب مقترحاتهم لا تنصب في صالح المجتمع العراقي ولم يكن يهمهم الإصلاحات الاقتصادية أو أية إصلاحات أخرى فقد كان المهم عندهم كم سيقبضون من الأجور والامتيازات، وبالتأكيد هؤلاء كانوا غير مقبولين من قبل الشعب ويقابلون بالكره وحتى القتل لذا فهم غير قادرين على الخروج والتجول في بغداد أو الإعلان عن المناصب التي يشغلونها خوفاً من الاغتيال. بينما كان «بريمر» يعيش ضغطاً حقيقياً من تراكم العمليات الإرهابية بل وكثيراً ما كان يستهدف شخصياً من قبل تلك العناصر، لذا كان عليه النظر جيداً إلى خطوته كي لا تضرُ بالنجاح الذي يحققه في العراق لصالح بلاده لحد الآن لأن «بريمر» لم يكن يفكر في مصلحة

العراقيين في أي خطوة كان يخطوها، لذا كان حرصه الشديد أن يؤدي مهام عمله بدقة حتى ترضى عنه الإدارة في واشنطن وتبقى له الأولوية في إدارة العراق.

وفي خضم تصاعد عمليات المسلحين فقد اغتيلت السيدة «عقيلة الهاشمي» وهي إحدى النساء الثلاث في مجلس الحكم. مما أعطى ذلك الهجوم انطباعاً بأن الوضع الأمني سيئ ومن الضروري إيجاد طرقٍ سريعة لحل هذه الأزمة، ومن المفيد أن نذكر بأن «بريمر» قد أساء اختيار الأشخاص الذين جعلهم ممثلين رسميين نيابة عن الشعب العراقي حيث كان غالبية من اختارهم أعتى من لصوص الشوارع في بغداد، علماً أن غالبية من تم اختيارهم كانوا يعيشون متسكعين في شوارع أوروبا واعتادوا على ما يبدو على أعمال القرصنة والنهب من العيار الثقيل.. فلم يكن أحد من هؤلاء يهمه مصلحة الوطن بل كانت مصالحهم هي من الأولويات المهمة التي يضعونها في مقدمة أعمالهم، وكثيراً ما كانت التقارير اليومية التي يقدمونها إلى السفير «بريمر» عن الخدمات الأساسية هي مجرد أكاذيب وغالبيتها مشاريع خدمية وهمية، وكان «بريمر» يعرف ذلك جيداً وإنما كان يستمتع بتلك الأكاذيب لأنها كانت في صالح استراتيجيته في البلاد ليساهم معهم في تدني حجم تلك المشاريع وأهميتها ودورها في إعادة الإعمار، وكان من الأفضل بالإدارة الأمريكية أن تسمي مكتب «بريمر» «بمكتب إعادة التخريب ومنع المساعدة الإنسانية للعراقيين»، وليس بمكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية.

لم يستفد المجتمع العراقي إطلاقاً من ذلك المكتب، بل على العكس من ذلك فقد كان اللصوص وحدهم من استفاد من ذلك المكتب، والمضحك أن «بريمر» يضع ثقته برؤساء في مجالس البلدية الذين كانوا بدورهم يستلمون مبالغ طائلة جداً من أجل المباشرة بإعادة الإعمار، وكان هؤلاء بمثابة سماسرة بارعون في أعمال النصب والاحتيال والسرقات الثقيلة يجتمعون بأعضاء المجلس البلدي الذي هو تحت إدارتهم فيكلفون أحد أعضائها بالتنسيق مع مقاولين عراقيين لإنجاز مشاريع خدمية غالبيتها وهمية، ولكنهم جميعاً كانوا مجرد لصوص محترفين همهم الوحيد كيفية ملء جيوبهم بآلاف الدولارات ثم الهرب خارج البلاد.

فمثلاً كان رئيس المجلس البلدي الذي يفوضه «بريمر» بتحسين وتجهيز المدارس ضمن رقعة جغرافية محددة بواقع صرف مبلغ مليون دولار أمريكي على أن يعمل بتجهيز هذه المدارس بشتى المتطلبات الحديثة بما فيها مكيفات الهواء، والكومبيوترات وغيرها من المستلزمات الأخرى، فيقوم رئيس المجلس البلدي المخول باختيار أحد أعضاء المجلس الذي يثق به ليبحث له عن مقاول محتال يأخذ زمام مبادرة العمل ليقوم بتجهيز هذه المدارس بأردإ الخدمات وأسوئها على الإطلاق ويرفع قائمة المشتريات والخدمات إلى كلفة عالية لا تتناسب مع القيمة الفعلية لإنجاز العمل والمبلغ الذي تم رصده.

وبدوره يرفع عضو المجلس البلدي ليسد المبلغ الذي تم رصده وهو مليون دولار إلا أن الحقيقة خلاف ذلك لأنهم تمكنوا من صرف أقصى ما يمكن أن يصلوا إليه من مبلغ وليكن مئتين وخمسين ألف دولار والباقي وقدره سبعمائة وخمسون ألف دولار يقسم ما بين المشتركين بعملية النصب لسرقة أموال الشعب العراقي.

والسؤال المهم الذي قد يتبادر إلى أذهان البعض...

هل أن «بريمر» لم يكن يملك عملاء سريين يبلغونه عن تلك التجاوزات والسرقات الكبيرة؟

بالتأكيد له جواسيس يزوّدونه بالمعلومات وهذا لا يخفى على الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة بقوة الجاسوسية.

وإنما كان «لبريمر» هدف أكبر من تلك الأموال البسيطة التي تسرق من قبل تلك الأسماك، وإن كانت كبيرة الحجم لأن الحوت هو الذي سينال التصيب الأكبر في النهاية، فضلاً عن أشغال وتوهيم الناس بأن إدارة مكتب الإعمار تعمل جاهدة لأداء المشاريع الخدمية للعراقيين حتى وإن كان الكثير منها وهمية أو ليست بالمستوى المطلوب.

وهي حتماً كانت تسير وفقاً للاستراتيجية الأمريكية التي تتطلبها تلك المرحلة.

ويبقى المقربون من «بريمر» وحاشيتهم هم الرابحون في كل هذه الأعمال التي يتحملون مسؤوليتها ليبقى الحال على ما هو عليه من تدنٍ في الخدمات الأساسية وهدر الأموال.

ومن يدري؟! قد كان «بريمر» هو الآخر يرفع قوائم حسابات أخرى تختلف أرقامها عما كان يرفعه إليه موظفوه من ممثلي الشعب في المجالس البلدية وفي أماكن أخرى.

وفي نهاية العرض الكل يسرق من المال السائب، فلا تغير حصل في البلاد وكل شيء بقي يمثل نفسه بلا جديد، بل كانت الخدمات والحالة الاقتصادية التي يعيشها الشعب أيام النظام السابق أفضل حالاً من الأخبار السارة حول من يريد أن يراها في زمن الديمقراطية.

كنت مقتنعاً من النكسات في مجمل الحياة اليومية التي يعيشها العراقيون، والحال يتجاوز الخدمات الأساسيّة والكهرباء والنفط والماء وأعمال التخريب والنهب والمال المهدور تحت شعار إعادة الإعمار، إنما نحن اليوم أمام تحديات الخوف على مستقبل أطفالنا والإحباط الذي من الممكن أن يواجهه الشعب، ولكن كالمعتاد فإن الحياة اليومية لا تخلو من المشاكل. المهم أن لا نفقد الأمل حتى وإن كنا لسنا على توافق مع الرؤية الاستراتيجية لإدارة «بريمر»، ولكن أن تستمر الحياة بهدوء وتهدئة العنف على الرغم من ضجر الكثيرين الذين باتوا يشعرون ببطء إعادة الخدمات الأساسية ولا يعرفون ما الذي يجري بالفعل هناك في المنطقة الخضراء.. لا أقصد أن الأمر يجري بطريقة خاطئة فحسب وإنما الحاجة إلى طريقة جديدة لصياغة العمل قد يستنتج الناس من خلالها بأن الواقع خلاف ما يفكرون به، وأن سلطة الائتلاف تسعى بجهد إلى أن تبدأ عملية سياسية متماسكة.

وعلى الجميع أن يدرك بأن الأمن هي مشكلتنا الأولى وكان من الواضح أننا نتجه نحو المزيد من الأزمات بسبب عدم فاعلية مجلس الحكم الانتقالي[1] وانشغالهم بمصالحهم الخاصة بعيداً عن مشاكل الشعب العراقي، ويبدو أن الخمسة والعشرين عضواً الذين تناوبوا على حكم العراق لا يزالون منقسمين طائفياً وأثنياً إلى جانب الصراعات الخفية والاجتماعات السرية التي كانت تجري بين الحين والآخر لأعضائها كلٍ حسب توجهاته

(1) باشر مجلس الحكم الانتقالي وظائفه في 13 تموز 2003م وهو يتكون من خمسة وعشرين عضواً: 13 من الشيعة، و5 من السُنّة، و5 من الأكراد، وتركماني واحد ومسيحي واحد.

بغية فرض السيطرة على السلطة وارتقاء كرسي الحكم وكانوا دائماً يرددون أنهم يريدون المزيد من السلطة.

لكنهم لا يعرفون كيف يستخدمونها في الاتجاه الذي يكسبون به رضى الشعب، ولا بد أن يكون هناك أحد منهم يعمل بعيداً عن صوت التعصب والمصالح، ومع انشغال المجاميع السياسية بالتحاور والتشاور حول الطاولة المستديرة في المنطقة الخضراء، كان هناك صوت الزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» يرحب بمواجهة الاحتلال ويشجع الاستشهاد في سبيل طردهم من البلاد ويرفض أي صورة من صور التعامل مع الاحتلال الأمريكي وبدأ يشكل خطراً كبيراً على الائتلاف، وكان يُنظر إليه بريبة خشية أن تتنامى شعبيته كقائد وسط الجموع الغفيرة من مؤيديه ومناصريه في أوساط الشيعة.

إلى جانب أن أتباعه من جيش المهدي كانوا يشكلون هاجساً مقلقاً لهم لذا كانوا على الدوام في إعلان حرب سياسية إعلامية ضد جيش المهدي بغية انتزاع الشرعية عنه وتحجيم دوره، وفي الحقيقة كان جيش المهدي يشكل عقبة كبيرة أمام الائتلاف أكثر تأثيراً من البعثيين الذين خسروا السلطة، والجهاديين الساعين إلى السلطة لتأسيس إمارة إسلامية في قلب العراق، لذا كان الائتلاف يترقب كل تحركات جيش المهدي في خطوة استباقية لاحتوائه عند الضرورة.

وفي خضم الأحداث كانت قوات الائتلاف تحاول التخلص من السيد مقتدى الصدر لأنه كان يمثل نموذجاً فاعلاً للتحرك الشيعي ضد الاحتلال، وكثيراً ما أقلقت زعامته إدارة «بريمر» وقطعت إجازات مستحقة لوزير الدفاع الأمريكي «رامسفيلد» لتفادي وقوع المواجهة مع جيش المهدي.

وفشلت إدارة «بريمر» بالوصول إلى تسوية أو مقايضة مع الزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» نظراً لكون الأخير يرفض تماماً وجود الاحتلال في العراق أو التعامل معه بأي شكل من الأشكال، وكثيراً ما كان «بريمر» يعبر صراحة عن تشاؤمه وعدم رضاه عن مجلس الحكم وقدرته على العمل لا سيما أن غالبيتهم كانوا يقضون أيامهم خارج العراق وكانت سفراتهم تصل إلى أسابيع لذا كان يفكر بأن يعطي مزيداً من الاهتمام إلى الوزراء

إلا أنهم كانوا أيضاً منشغلين بمصالحهم الخاصة، والكثير منهم يقضي شؤون وزارته من خارج البلاد حيث كانوا يعطون غالبية الصلاحيات لوكلائهم وأقاربهم وأصدقائهم لإدارة البلاد بعيداً عن معاناة الشعب العراقي.

ومع هذا المسار الرتيب من العمل فإن هجمات المتمردين والإرهابيين كانت تزداد على نطاق واسع، وأمام ذلك التخبط السياسي فإن إدارة «بريمر» كانت ملزمة بخطة نقل السيادة إلى حكومة عراقية منتخبة على أساس الدستور وهو شرط أساسي أفتى به آية الله العظمى «السيد السيستاني»، وفي الحقيقة فإن سلطة الائتلاف المؤقتة كانت تسعى إلى ذلك بسرعة لاحتواء الهجمات والإجابة على أسئلة الشعب العراقي الذي كان ينظر إلى وجودهم كقوة احتلال بصرف النظر عما يدعونه.

وكانت الإدارة الأمريكية ترى أن رؤية رئيس عراقي جديد أمر صعب في ظل هذه المرحلة لا سيما وأن الصراع السياسي من أجل الوثوب على السلطة قد تجاوز وجهات النظر المناسبة.

لذا كان القرار صعباً مع تفاقم الوضع الأمني في «بغداد» و«الفلوجة» و«الأنبار» وكان من الضروري وجوب عدم المراهنة بكل شيء على النجاح في ظل تناوب المشكلات تارة بتحمس وقيام الشيعة، وتارة أخرى بتراجع الأكراد، وأخرى بنهوض السُنَّة مع اختلاف الجميع في الرأي والاقتراحات يعقبها التباس عام بشأن العملية السياسية برمتها.

وكان الجميع يتصرف وكأنه من الضروري أن يكون للعراق عدة حكومات بما يرضي الآخرين والكثير من المقترحات الشخصية كانت قيد رهن قاعة الاجتماعات مع كل ما تحويه من تعابير ماكرة بعيداً عن الصحافة.

وفي الحقيقة لو كانت الإدارة الأمريكية تسعى إلى استقرار العراق لاستطاعت ذلك بسهولة من خلال إقرار إحكام السيطرة على الشارع وحماية أمن الناس بالقوة فضلاً عن إمكانيتها في فرض الرجل المناسب الذي تراه قادراً على مسك زمام الأمور في ظل تلك المرحلة، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تثق بالسياسيين الموجودين على الساحة فضلاً عن أن هذه الفوضى التي تشهدها البلاد هي في صالحهم وفقاً

للاستراتيجية التي دخلوا العراق من أجلها، وإلا فهل يعقل أن تستشير الولايات المتحدة الأمريكية خصومها فيما تراه هي مناسباً لمصلحتها القومية؟

فإذا كانت لا تستطيع اختيار رجل السلطة المناسب ليقود العراق فلم أقدمت على خطوة الاحتلال وإسقاط نظام الحكم؟ فهل من المعقول أن تقدم على هذا العمل بكل تلك الأحداث الشاقة دون أن تضع في حساباتها مسبقاً عما سيحصل وما المناسب في ظل كل الاحتمالات والمواقف؟

وفي يوم السبت تمام الساعة الثامنة والنصف المصادف 13 كانون الأول/ديسمبر وصل إلى «بريمر» خبر إلقاء القبض على الرئيس العراقي «صدام حسين» وتم تصويره بكاميرات هوليوود المعروفة، وهو كان مختبأ في حفرة عمقها نحو ست أقدام وعُرضت على شاشات التلفزة بالشكل الذي شاهدناه جميعاً.

ورغم أن الكثيرين لم يصدقوا ما شاهدوه، وبعضهم أصيب بالذهول والدهشة وآخرين بالصدمة، إلا أن الأمر كان يبدو غير مألوف!!.

وهناك أمر يبعث على الاستغراب، كيف أن «صدام حسين» ذلك الرجل العنيد الذي قاتل قوات التحالف في العديد من المناطق وهو يحمل تارة رشاش كلاشينكوف، وتارة أخرى قاذفة آر بي جي وينتقل من حي إلى آخر في خضم عنف المعارك وشدة القصف الصاروخي والجوي، ومع تأكيد شهود عيان آخرين أنهم شاهدوه يقاتل أمام مقاتلي الحرس الجمهوري في معركة المطار دون أن يبالي بالموت، ومن ثم نفاجئ على حين غرة بأنه كان مختبأ في حفرة صغيرة معزولة عن الناس، يبدو أن الأمر يختلجه الكثير من الغموض على الرغم من أن البعض لم يأبه للطريقة التي وجد فيها سوى القبض عليه، إلا أن هناك من كان منشغلاً تماماً على أن الموقف ليس سوى دراما سينمائية أمريكية على غرار أفلام «هوليوود» المعروفة، عموماً فالشعب العراقي ليس كغيره من الشعوب التي من السهولة إقناعه لأنه شعب فطن وبحاجة إلى إثباتات دامغة ومؤكدة لتفرض عليه ما يمكن أن يجده مبالغاً فيه فهو من أكثر الشعوب في العالم تفهماً لما يدور في أسواق الإشاعات والأخبار المفبركة والأكاذيب المنمقة، ويبدو أن عملية مقتل

نجلي الرئيس العراقي «عدي» و«قصي» هي الأخرى لم تنطوي عليه بسهولة لأن الشارع العراقي ومنذ نشر الخبر لم يصدق أبداً حقيقة مصرعهما وبقي الباب مفتوحاً أمام توقعات جديدة كان من ضمنها الطريقة التي تم فيها إلقاء القبض على الرئيس العراقي السابق، ورغم كل التساؤلات التي كانت تشغل بال العراقيين إلا أنه كان يوماً مثيراً للاهتمام.

وظن الكثيرون بأن اعتقال صدام حسين سيعزز الواقع الأمني في العراق الجديد وينقله إلى عالم ديمقراطي حر مفروش بالورد وسنابل الحرية والسلام.

إلا أن الحقيقة لم تكن كذلك أبداً، «فبغداد» أصبح لا مكان فيها لأحد يستطيع أن يرتاح فيه، بل كل مدن العراق أصبحت جمرة من النار وليس هناك مَنْ باستطاعته إقناع المتمردين بالتخلي عن أسلحتهم.

لقد كان «بريمر» يعتقد أنه حقق إنجازاً كبيراً بإلقاء القبض على الرئيس صدام حسين[1] وكانت تغمره الفيطة والفرح بأن يسجل الإنجاز لإدارته، ولكنه لم يكن إنجازاً تاماً يضع النهاية للعنف المستشري بقوة في العراق، بل من حدة الأزمة الأمنية فقد تفاقم الوضع أكثر وازدادت عمليات المتمردين وانفجارات السيارات المفخخة والعبوات الناسفة في شوارع وأحياء بغداد وضواحيها، كما ازدادت العمليات الاستراتيجية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وأقر زعيم التنظيم «الزرقاوي» بالكثير من العمليات التي طالت الأبرياء من أبناء الشعب العراقي إلى جانب تزايد مطالب العرب السُنَّة بنسبة أكبر من العملية السياسية.

وهذا يعني أن الوضع سيشهد اضطراباً كبيراً وسيكون القتال شرساً، وفي جانب آخر ارتفعت أصوات العراقيين بالغضب من تقرير «الأخضر الإبراهيمي» مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي عنان» إلى العراق لتقصي الحقائق وبيان إمكانية قيام انتخابات الجمعية الوطنية.

---

(1) حكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت بعد إدانته في قضية الدجيل التي راح ضحيتها 148 مواطناً من البلدة المذكورة وتم تنفيذ حكم الإعدام في تمام الساعة 35، 5 دقيقة فجر يوم السبت من عام 2006م.

إلا أنه خيب الآمال في تقريره الذي أصدره بعد زيارته للعراق حيث أكد فيه على أن الانتخابات غير ممكنة قبل نهاية سنة 2004م، وهذا يعني تأخر آلية اختيار الحكومة المؤقتة التي تتسلم السيادة، وكان العراقيون يتوقعون أن يشمل التقرير انتقاداً لأعمال جرائم الإبادة الجماعية والوحشية التي كشف عنها إلا أن التقرير كان خالياً تماماً من هذا الموضوع، مما دفع بأعضاء مجلس الحكم من الشيعة الربية من «الإبراهيمي» لا سيما أنه كان قومياً وعربياً سُنّيًا، وقام أعضاء في مجلس الحكم من توزيع صورة «للإبراهيمي» وهو يدخن سيجار كوبي مع الرئيس «صدام حسين» قبل سنوات من سقوط النظام العراقي.

ومع هذه الأوضاع المتأزمة استيقظ «بريمر» وأعضاء إدارته على خطوة جريئة للزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» في 26 آذار/مارس بعد صلاة الجمعة في ذلك اليوم وهو على منبر مسجد الكوفة يطلق أشد هجوم انتقادي حتى الآن لسلطة الائتلاف المؤقتة، فقد صاح بأعلى صوته: لا.. لا.. لليهود.. لا.. لإسرائيل.. لا.. لأمريكا، لتثير تلك الصيحات المدوية حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وخامرهم القلق الشديد من تلك الشجاعة التي تشكل لهم حرجاً كبيراً، ومرة أخرى يقدم «الإبراهيمي» للعراق في ظل هذه الأجواء المشحونة للعمل على تشكيل الحكومة الجديدة والتنسيق مع «كارينا بيريلي» الخبيرة لدى الأمم المتحدة في الشؤون الانتخابية لوضع نظام انتخابي للعراق، وعرض «الإبراهيمي» لإدارة «بريمر» وسلطة الائتلاف وجهات نظره الخاصة حول تأليف الحكومة الجديدة، مركّزاً في اختياره على أهمية استبدال السياسيين بنخبة من التكنوقراط. فقد كان الإبراهيمي يفضل أن تتولى الحكومة في العراق شخصيات بارزة من الاقتصاديين والصناعيين وخبراء ماليين من غير السياسيين الذين كان يرى أنهم سيتعبون البلاد بأزمتهم واختلافاتهم وتنافرهم المستمر، كما أعد ضرورة استبعاد أعضاء مجلس الحكم من الوزارة الجديدة بل إنه اعتبرهم غير مؤهلين للترشح للانتخابات في كانون الثاني/يناير المزعم إجراءه، وقد برّر الإبراهيمي اقتراحه هذا على أن الأحزاب السياسية لا تحظى بشعبية كافية في العراق، ولكن يبدو في حقيقة الأمر أن «الإبراهيمي»

كان ينفر منهم وهم يعرفون ذلك رغم أن ما فكر به «الإبراهيمي» صحيحاً إلى حد ما.

ورغم ذلك استطاع السياسيون من أن يمرروا آراءهم ومواقفهم، وجعلوا «الإبراهيمي» يفكر رغم إرادته في اختيار أعضاء مجلس الحكم ووجهاء الأحزاب السياسية لكي يتولوا مناصب وزارية. كان الوضع الأمني يزداد سوءاً في العديد من مناطق العراق ومن الضروري الإسراع في السيطرة على بغداد وإلا سوف تصبح مهمة إدارة «بريمر» على شفير الانهيار خصوصاً بعد زيادة العمليات الانتحارية داخل العاصمة وضواحيها.

وفي صباح يوم الإثنين 17 أيار/مايو قُتل رئيس مجلس الحكم «عز الدين سليم» وحراسه الشخصين عندما اعترض موكبه انتحاري بسيارة مفخخة عند نقطة تفتيش بمحاذاة المنطقة الخضراء. ومقتله أثار علامات استفهام كثيرة...

لماذا استهدف «عز الدين سليم»؟ وكيف تم استهدافه بهذا الشكل؟ ومن كان وراء تلك العملية التي لا يمكن إلا القول بأنها كانت عملية اغتيال مدبرة شأنها شأن عملية اغتيال سماحة «السيد محمد باقر الحكيم» في مدينة «النجف الأشرف»؟!!

تلك العملية الإرهابية التي استهدفت رئيس مجلس الحكم قد أعطى انطباعاً سيئاً حول ما وصل إليه الوضع الأمني في العراق، ومؤشراً جديداً مفاده أن المنطقة الخضراء ليست بمعزل عن العمليات المسلحة. لذا كانت سلطة الائتلاف أمام وضع يستدعي إيجاد مجلس وزراء صلب يستطيع أن يقود البلاد عند نقل السيادة إلى العراقيين على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تجد نفسها في حالة مجازفة ورهان على الشخص الذي من الممكن أن يحصل على رضى وتوافق جميع العراقيين، إلا أن الإدارة الأمريكية كانت ترى في الدكتور «إياد علاوي» رجلها المناسب ولكن وكما هو الحال فإن المناورات والتشاورات والاجتماعات بين السياسيين لا زالت مستمرة فرغم أن الحكومة المؤقتة تمثل إنجازاً مهماً إلا أن الطريق نحو الأمان والاستقرار لم يستوف الشروط بعد ليبقى الأمن مشكلة كبيرة جداً. فالمتمردون يسيرون نحو تدمير الإمكانيات العسكرية الأمريكية ولا زالوا مقتنعين أنهم على الطريق الصحيح في المقاومة لطرد جيوش التحالف من أرض العراق وهم يرون أنها هي الديمقراطية التي يمكن أن يرون بلادهم من خلالها.

فالحرب المعلنة من قبل المتمردين أصبحت أبوابها مفتوحة، فكل المدن العراقية تشغل حيزاً كبيراً من الهجمات المسلحة التي تستهدف قوات الشرطة والتحالف على الرغم من سقوط ضحايا من المواطنين الأبرياء. فالحياة أصبحت خطرة وبات الناس يعيشون ظروفاً صعبة جداً في كل أرجاء البلاد. كما أن الحصص الطائفية قد هيمنت على تفكير الساسة فإنها سيطرت أيضاً على الشارع العراقي، وباتت بغداد وسط تلك الأجواء المشحونة بالنزاعات الطائفية، مدينة قاسية بالفعل... ورغم أن «بريمر» قد عمل ملكاً للعراق طيلة أربعة عشر شهراً، إلا أنه في الحقيقة لم يستطع التوصل إلى أي حل لمشاكل الشعب العراقي إلا ما توافق السلطة مع مصالحه المالية والتي اتفقت تماماً مع تطلعات ومصالح غالبية السياسيين وعلينا أن لا ننكر دوره في وضع الزواجر والضوابط لإنشاء الحكومة العراقية المؤقتة لأن السياسيين كانوا مكبلين بشروط بقائهم في السلطة بعدم معارضة إدارة «بريمر» في العراق.

أما الخطوات الجوهرية لاستعادة العراق لقوته الاقتصادية فإن ذلك الهدف كان هواءً في شبك، وكان باستطاعة «بريمر» أن يحل المعضلة الأمنية التي دمرت البلاد لو فكر بشكل جيد في الأمن على نحو جدي إلا أن خط انفجار الأزمة الأمنية كانت في صالح عمل إدارة «بريمر» مثلما هو الحال في مواجهة المعضلة الاقتصادية إلا أن «بريمر» كان يتمازح كثيراً بأموال العراقيين وكثيراً ما كان يصرح بأن ملايين الدولارات قد صرفت لبناء المؤسسات ومنظمات المجتمع المدني ومراكز الدفاع عن حقوق الإنسان، إلى جانب إنشاء مراكز نسائية مثلما تم تخصيص مئات الملايين الأخرى من الميزانية العراقية من أجل دعم مراكز تسجيل الناخبين والمراكز التعليمية وإجراء الانتخابات المزمع إجرائها في كانون الثاني/يناير.

وفي الحقيقة كل تلك الأموال التي كان يوزعها كانت تذهب إلى جيوب المحتالين الذين كثيراً ما كانوا يعملون تحت أسماء منظمات وهمية، أما المنظمات التي تم تسجيلها تحت اسم منظمات المجتمع المدني فقد كان مدرائها ومسؤوليها يقبضون ملايين الدولارات من إدارة «بريمر» لحثها على العمل ونشر الديمقراطية الأمريكية.

وفي النهاية يكون المستفيد من هذه الأموال المبذرة فئة قليلة من الشعب العراقي تمكنوا من رفع حساباتهم المصرفية على حساب الفقراء الذين يأنون تحت وطأة الجوع والحرمان والبطالة والفقر بتلك الطريقة العشوائية السذجة في استغلال الأموال العراقية أوجز «بريمر» عمله.

إن الذريعة التي كان يتغنى بها «بريمر» بأن تعلم المزيد من المبادئ الديمقراطية تحتاج إلى جهود وأموال لتعزيزها في بلد مثل العراق الذي يتدفق إليه يومياً مئات الإرهابيين لتفجير السيارات المفخخة وشن الهجمات الانتحارية خصوصاً، أصبحت مجرد هراء فإدارة «بريمر» قد فشلت في تنفيذ غالبية الإصلاحات الاقتصادية والخدمية الضرورية التي كان من الممكن أن تخفف من معاناة العراقيين كثيراً وخصوصاً في توفير الوظائف لمئات الآلاف من العاطلين ومحاربة الفساد الإداري الذي استشرى في جميع مؤسسات الدولة بسبب التشجيع المستمر من إدارة «بريمر» فضلاً عن الانهيار الكامل في نظام الخدمات كان أثراً نفسياً صعباً على العراقيين علمتهم عدم الوثوق لا ببريمر وإدارته ولا بأحد من السياسيين.

في ظل وحشية الحياة اليومية التي يشهدونها وكان من الممكن أن تعمل الإدارة الأمريكية التي يقودها «بريمر» في العراق من تحسين أجواء المناخ الأمني لو تمكنوا من حماية الحدود العراقية بعناية وبعدم إطلاق سراح المجرمين المحترفين، والتأكد جيداً من خلفية القادة العسكريين والأمنيين الذين يتم تعيينهم، لذا فإن جميع أعمال «بريمر» لم تكن تشعر المواطنين بالرضى والارتياح كأمين فعلي على سيادة العراق وأمنه واستقراره، فقد كانت الكثير من قراراته تحتاج إلى الدقة رغم أن بعض خطواته كانت ناجحة بالفعل فيما يخص المصلحة القومية الأمريكية وفيما يتعلق بحساباته المصرفية قبل أن يلوح مودعاً العراق عائداً إلى وطنه في 28 حزيران/يونيو من عام 2004م ويمنح الميدالية الرئاسية للحرية نظير خدمته في العراق من الرئيس جورج دبليو بوش، ليترك خلفه بلداً يعج بالبطالة والفقر والحرمان كما تركه من قبل غيره، فالكثير من حملة الشهادات الجامعية وشعراء مبدعون ركنوا القلم ليركنوا للمكنسة كعمال نظافة في

العراق الجديد باسم الديمقراطية في ظل بطالة واسعة عمّت قطاع كبير من شباب العراق، أظهرت للواقع العراقي أعمالاً جديدة وطارئة انتشلت بعض الشبان من بطالتهم ووفرت لهم فرص عمل لا بأس بمردودها المادي، من بين هذه الأعمال تنظيف شوارع العاصمة بغداد الممتلئة بالنفايات والأنقاض بسبب أعمال العنف والنهب والإهمال الذي طالها خلال الفترة الماضية منذ نيلها الحرية، ولكن الملفت للنظر أن قطاع واسع ممن ارتأوا العمل في هذا المجال هم حملة شهادات ومبدعون دفعهم غياب فرص العمل إلى القبول بأي عمل حتى لو كان لا يتناسب مع مهاراتهم ومستواهم العلمي والثقافي كون لقمة العيش أصبحت من أهم الأهداف التي يسعى لها أبناء هذا الوطن الجريح.

فضلاً عن تفاقم مشكلة أزمة الوقود والمشتقات النفطية الأخرى ولأول مرة يحدث في هذه البلاد أن يتساوى سعر أنبوبة الغاز وصفيحة النفط الأبيض (الكيروسين) سعة الخمسة عشر لتراً عندما وصلت تسعيرتها في بورصة بائعي النفط والغاز في الأحياء السكنية إلى ألفان وخمسمائة دينار وهو سعر كبير جداً يتجاوز قدرة العائلة العراقية الفقيرة، ومن ثم وصلت إلى أكثر من خمسة عشر ألف دينار وهو سعر خيالي جداً حيَّر العراقيين.

وأخذت محطات توزيع المنتجات النفطية تغص بالناس الذين ينتظرون دورهم للحصول على أنبوبة غاز واحدة لساعات طويلة والنساء يمثلن الأغلبية في طابور الانتظار وهي معاناة جديدة تضاف إلى قائمة المصاعب والهموم اليومية الطويلة التي أصابت الشعب العراقي.

والشيء الذي يلفت الأنظار ظهور محلات بيع أقراص CD، تروج لثقافة القتل والخطف وقطع الرؤوس دون رقيب ومحاسب، لقد أصبحت مشاهد قطع الرؤوس منظراً مألوفاً للعراقيين يمكن مشاهدتها في جميع محلات بيع الأقراص الليزرية التي ملأت الشوارع نتيجة غياب دوائر البلدية المعنية المنشغلة بعقود «بريمر»، وتقاضي وزارة الداخلية عن التدخل لعدم قدرتها على القيام بواجباتها، لذا كانت غالبية هذه الأقراص تؤدي بالنتيجة إما للتحريض على العنف والقتل أو لتسهيل مشاهدة الدم المجاني بقصد

الإرهاب وإيصال فكرة مفادها أن الإرهابيين هم أصحاب القوة الفعلية في هذه البلاد، حتى باتت تلك الأقراص تغزو مساحات واسعة من الأسواق والساحات والتي كانت في الحقيقة من أكثر الأفلام قبحاً وانتهاكاً للنفس البشرية حيث كانت تعرض هذه الأقراص ببساطة كيفية قيام الإرهابيين بذبح الناس. ورغم أن أجهزة الدولة الأمنية وحتى الخدمية هي أكثر المتضررين من ترويج هذه الأفلام التي تحرض على قتلهم إلا أنها كانت غير قادرة على اتخاذ القرار الذي يمنع تلك التجاوزات الخطيرة ومعاقرة المسيئين وهكذا بقت ثقافة العنف والقتل بمختلف أشكاله سائدة في الشارع إلى أجل غير مسمى!!

والمصيبة الأعظم أن تجارة بيع الأسلحة النارية قد ازداد رواجها بين الناس الذين أخذوا يهرعون إلى شراء ما يناسبهم من تلك الأسلحة التي غالبيتها قد تم سرقتها من مخازن الجيش العراقي السابق، فضلاً عن انتشار أماكن خاصة لبيع المسروقات على مختلف أشكالها وأنواعها هذا كله يتم في وضح النهار بلا رقابة.

والكثير من شوارع بغداد مغلقة ليس نتيجة وجود علامات مرورية أو تصليحات فيها وإنما بموجب اجتهادات خاصة من قبل العصابات الخطيرة التي كانت تغلق الشوارع وتمنع الناس من المرور فيها ومن كان يُخطئ بمروره في مثل هذه الشوارع فإنه يتعرض للقتل أو إلى السلب والمرأة إلى الاغتصاب، قد يتساءل البعض: وأين هي القوات الأمريكية من كل هذا؟

إن تلك العصابات بمجرد أنها كانت تسمع صوت جنازير المدرعات والآليات العسكرية الأمريكية سرعان ما تختفي هاربة كالأشباح.

وما إن تغادر تلك القوات ما تلبث أن تعود تلك العصابات من جديد لتفرض سيطرتها وبلطجتها على الناس، ناهيك عن تجاوزات أخرى خصوصاً زيادة معدلات الاغتصاب التي كانت تتعرض لها النساء في بغداد، فكثيراً ما كن يختطفن تحت تهديد السلاح في وضح النهار أمام مرأى الناس دون أي رادع أو خوف وتجرأوا على الدخول إلى منازل الناس الآمنين وترويعهم دون أي تردد، وكان غالبية المجرمين الذين يعيثون بشوارع بغداد عبثاً وفساداً هم أصحاب السوابق الذين كانوا يحفلون بسجلات مليئة بالجرائم

على مختلف أنواعها، لذا كانوا يعرفون جيداً ما يقومون به. فالقتل عندهم مسألة في غاية البساطة، والمصيبة الأعظم أنهم تطوعوا في صفوف الشرطة العراقية وأصبحوا يقومون بأعمالهم الإجرامية القذرة باسم القانون حتى أخذ الناس لا يميزون بدقة بين المجرم والشرطي. ورغم الكثير من المساوئ والمعاناة التي أصابت الشعب العراقي في ظل مرحلة الانفلات الأمني في عهد «بريمر» إلا أنه في الحقيقة كانت هناك محاسن أيضاً فالأسواق امتلأت بالستلايت والموبايل والثريا والسيارات والمنفيست ومجلات البلاي بوي وأقراص CD وحرية اقتناء أنواع الأسلحة وامتلأت الساحات بمسروقات الحواسم.

إدارة السفير «نغرو بونتي» للعراق:

وما إن رحل «بريمر» مودعاً العراق في 28 حزيران/يونيو 2004 وصل إلى بغداد «نغرو بونتي» سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية بديلاً عنه.

لم يكن شأنه أفضل ممن سبقه ولم يكن الشعب العراقي يعرف أين تذهب أموال النفط، بل حتى لا يعرف شيئاً عن مسيرة التحرير والديمقراطية التي يعلن عنها كل سفير يقوم بمهامه في بغداد، ولم يختلف في سياسته التي كانت ترتكز على أهمية إعادة إنتاج النفط الخام والوقود والتي كانت من أولى أوليات سفارة «نغرو بونتي» ورغم أنه كان يمتاز بالذكاء وحسن المناورة السياسية وقوة الشخصية، إلا أنه لم يستطع إدارة البلاد بشكل دقيق والوصول إلى الصيغة المناسبة التي تجمع بين السياسيين العراقيين الفرقاء ولم يستطع تحريك عجلة الاقتصاد العراقي، وساءت الخدمات وازدادت وتيرة أعمال العنف بشكل كبير جداً.

إدارة السفير «زلماي خليل زاده» للعراق:

وسرعان ما اتخذت الإدارة الأمريكية قراراً بتعيين السيد «زلماي خليل زاده» ذو الأصول الأفغانية سفيراً جديداً للعراق بدلاً عن «نغرو بونتي».

وفي الحقيقة أن «زلماي» يتمتع بقدرة كبيرة على المناورة السياسية وتمكن من إدارة سفارته بشكل جيد فقد كان يمتلك إرادة قوية ليعيش في بغداد في ظل تفاقم الوضع الأمني، ولم يكن سيناريو سفارته أفضل من السيناريوهات التي سبقته بإدارة السلطة الفعلية في العراق.. ونجح إلى حد ما في عملية الإصلاح السياسي إلا أنه لم يتمكن من توفير الأمن الذي كان يعد خياراً صعباً.

ولم يكن على وفاق مع رئيس الوزراء العراقي المنتخب «إبراهيم الجعفري» الذي خلف وزارة الدكتور «إياد علاوي»، لذلك سعى «زلماي» إلى تنحية الجعفري الذي كان يرفض تنفيذ الكثير من القرارات التي كانت الولايات المتحدة تحاول أن تفرضها عليه عبر سفيرها «زلماي»، واستمر التجاذب السياسي بين الأطراف المشاركة في الحكم لتنحية «الجعفري» بمباركة السفير الأمريكي في العراق واستمر ذلك التجاذب عدة أشهر إلى أن نجح الأمر في إزاحة الجعفري عن رئاسة الوزراء، إلا أن هذا الأمر لا يمكن أن يضاف إلى التوافق بين الكتل السياسية العراقية، وإنما إلى القرار الأمريكي الذي كان غامضاً ومتناقضاً مع ما يدور على الساحة العراقية، ويبدو أن ذلك قد أعطى منظاراً جيداً لخطوات «زلماي» في العراق لصالح بلاده مع استمرار النكسات في مجمل الحياة اليومية التي يعيشها العراقيون وزيادة الحواجز «الكونكريتية» في شوارع بغداد لم تكن تستطع أن تمنع الانفجارات التي كانت تهز العاصمة بالسيارات المفخخة والعبوات الناسفة.

هناك ثمة من يحاول تشويه الأحداث الحالية التي تمر بها بلادنا فبالرغم مما يدّعيه

بعض الساسة ممن يشتركون في زمام السلطة محاولة قلب الوقائع لنشر الفوضى والرغبة في إقحام العراقيين في حرب طائفية، إلا أن أملهم ضئيل جداً مثلما هم فئة قليلة، وإن نسبة تحقيق السلام يفوق مخيلتهم وهذا ما تؤكده الرؤية المنطقية السليمة للمتفائلين بمستقبل العراق الجديد على الرغم من سوء التفاهم والريبة والشك من حولنا، إلى جانب وجود المتمردين المصممين على جرف الإنسانية في لجج الشقاء وإزهاق أرواح الناس الأبرياء.

بلا شك نحن جميعاً نلاحظ زيادة نفوذ هؤلاء المجرمون من قتلة شعبنا بين الحين والآخر وهذا أمر طبيعي لأنهم في كل مرة يستغلون الفراغ السياسي والتناحر الطائفي وعدم الرغبة في التحاور والانسجام، وإلا كيف نفسر ما يحدث من تفجيرات مروعة بين جموع المدنيين الأبرياء في كل مكان من أرض الوطن.

لقد أصبح العراقيون اليوم أكثر قدرة مما مضى من الزمن على التمييز بين الخير والشر، بين من يضعون العراق بين أعينهم والذين يفضلون مصالحهم الشخصية الضيقة على مصالح الشعب والوطن.

إن وجود الشر في العالم أمر طبيعي وفي أحيان أخرى هناك ضرورة لكشف الإنسان على حقيقته.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

ولكن يبقى من الضرورة أن نثق بقدراتنا على تجاوز كل المحن، وأن لا نشك للحظة في إمكانياتنا على تجاوز الصعاب.

وإن المسؤولين عن الرعب والخيانة والإرهاب الذي نراه من حولنا هم أشخاص مناوئون لتعاليم الله قبل الإنسانية وهم أعداء الله قبل الإنسانية. ونحن لا نستطيع أن ننكر وجودهم مهما اختلفت التفسيرات في فهم تطلعاتهم وتحت أي عنوان من العناوين التي نلصقها على المجرمين الذين يتعدون على حقوق الناس ووجودهم.

(1) سورة: يونس، الآية: 44.

إن الإرهابيين الذين يقومون بأعمال قذرة ويشوهون الواقع اليومي للإنسان العراقي المكادح لن يستطيعوا أن يفرضوا إرادتهم عليه ولن يرغموا الناس على سماع الأحاديث المبتذلة التي تحاكي ما يقومون به من ذبح وقتل وتدمير ونسف للبنى التحتية.

وما نراه اليوم من صراع يجري بين الشر والخير في بلدنا يدفع ثمنه الشعب تحت عنوان خسائر بالأرواح فهو ثمن غالٍ لأن دماء الأبرياء من العراقيين غالية لا يمكن التفريط بها من أجل غاية أو مصلحة أو صراع فئوي أو حزبي أو لتطلعات منصبية، فالإرهابيون الذين يحاولون أن يشوهوا حياتنا ويدمروا مستقبل أولادنا ويجعلونا من أتباع الشيطان لم يدركوا حتى الآن أننا نجحنا في الاختيار عندما انجذبنا نحو قوى الخير وجسّدنا إرادتنا في مقاومتهم، فالذين اختاروا الله وجدوا الحياة الهانئة المستقرة ومن وجد الشيطان خسر نفسه وخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

إرهاب (2):

إن لباس الدين والمقاومة الشريفة التي يتستر خلفها وتحت عباءتها الشياطين من الزمر المسلحة الإرهابية التي باتت شعاراتها المزيفة مثيرة لسخرية العراقيين الشرفاء، أصبحت مجرد تفاهات تتقوه بها العصابات التكفيرية وبعض المغفلين الذين تم التغرير بهم والضحك على ذقونهم تحت تلك المسميات الكاذبة.

لتكشف أجندتهم عن أعمال القتل والذبح والخطف والنهب والسلب والاغتصاب إلى غيرها من الأعمال البشعة التي لا تمت إلى الإنسانية بصلة ولا يمكن أن يقوم بها إلا السفلة الأوغاد ممن على شاكلة هؤلاء المجرمون المنحرفون الشاذون الذي امتهنوا الإجرام واعتبروه وسيلة لكسب الأموال على حساب حياة الناس الآمنين في هذا الوطن العزيز، فهم قد:

(1) سورة: هود، الآيتان: 112 ـ 113.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

لقد أصبحت تلك الأجندة الإجرامية مكشوفة وواضحة للشعب العراقي، ومن الغباء أن يعتقد هؤلاء المجرمون الإرهابيون أنه من الممكن فرضها على العراقيين بهذه الوسائل الإجرامية البشعة.

وكلما ازدادوا في أعمال القتل والعدوان ازداد الشعب العراقي تلاحماً وقوة في تحديهم وحبهم للعراق.

كما أثبت هذا الشعب الأبي أنه لا يمكن تحت أي مسميات ابتزازه واستغلاله ومصادرة إرادته الحرة، وأصبحت لديه القناعة الكاملة بأن كل الأساليب الإجرامية التي تقوم بها تلك العصابات المسلحة الإرهابية لا تملك مشروعاً جهادياً شريفاً وأن المقاومة التي يدَّعونها ضد الاحتلال هي مقاومة غير شريفة لأنها من أجل ترويع الآمنين، وأن اللصوص المتخفين وراء اللثام بات أمرهم مكشوفاً وألاعيبهم لا تنطلي على العراقيين بعد أن أصبحت مثيرة للضحك والسخرية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2].

إن المقاومة الشريفة التي تملك مبادئ ومفاهيم وقيماً أخلاقية نبيلة ولها أجندة وأهداف سياسية واضحة لا يمكن أن تسعى لقتل المدنيين الأبرياء تحت أية وسيلة أو دافع.

وإن ما تقوم به هذه الجماعات المسلحة الإرهابية من تفخيخ للسيارات أو تفجير للأحزمة الناسفة وسط حشود الناس، أو زرع العبوات في الشوارع والطرقات أو قرب المدارس والمستشفيات أو بجانب دور العبادة من الكنائس والجوامع والحسينيات، وضرب الدور السكنية بقذائف الهاون والكاتيوشا وخطف المواطنين وذبحهم كالخراف لا يمكن أبداً وتحت أية مسميات أن تكون من وحي المجاهدين الشرفاء..

(1) سورة البقرة، الآية: 7.

(2) البقرة، الآيتان: 11، 12.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

إن المجاهدين الشرفاء لا يرهبون ولا يروعون أبناء الشعب ولا يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ بتمزيق أجسادهم أشلاء بالتفجيرات ولا يغتصبون النساء الطاهرات ولا يستبيحون الحرمات ولا يخطفون المدنيين من البيوت وأماكن العمل والطرقات من أجل حفنة من الدولارات.

إن المجاهدين الحقيقيين لا يقتلون الموظفين الذين يقدمون خدماتهم للمجتمع ولا يخربون ولا يدمرون مواقع الماء والكهرباء، ولا يقتلون رجال الشرطة الذين يسهرون على راحة الناس.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

إن من يعمل باسم المقاومة الشريفة لا يسرق أموال الفقراء ولا يذبح الأبرياء باسم الجهاد...

لذا فإن شماعة الجهاد والمقاومة وأية مسميات أخرى هي تبريرات واهنة ومزيفة وكاذبة تعلق عليها تلك الجماعات المسلحة الإرهابية الخارجة عن القانون أخطاءها معهم الأجانب القادمون من وراء الحدود من التكفيريين والصماليك العرب الذين أخطأوا في قراءتهم للمشهد العراقي، وأخطأوا في قراءتهم لتاريخ الشعب العراقي، وأخطأوا في قراءتهم لقوة وإيمان وصبر الشعب العراقي الذي أذهلهم وأثار في أعماقهم تساؤلات كثيرة...

أي شعب من الممكن أن يدوس على جرحه وهو ينزف لينهض ويقاوم ويتحدى وينتصر؟

أي شعب يملك إيماناً بقدراته وإرادته وشجاعته مثل العراقيين؟

حتماً إن مثل هذا الشعب العريق لا يمكن أن يُقهر ولا تسلب إرادته ولا تقتل حريته.. إنه شعب بلاد الرافدين صاحب أعظم الإنجازات الحضارية على مدى التاريخ.

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 15.

(2) سورة: البقرة، الآية: 39.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1].

وعلى الإرهابيين وكل من غرر بهم أن يعلموا بأن ذريعة المقاومة الشريفة هي مجرد أوهام وأكاذيب، وأن الجهاد في سبيل الله مجرد أقاويل مزيفة ضالة زينها وزرعها في عقولهم القتلة والسفاحين والمنافقين والمارقين..

وإن قتل النفس التي حرمها الله على المؤمنين لا تدخلهم إلى الجنة التي زعموا أنها مفروشة لهم بالنعيم، ومن حولهم تدور الحور العين ويبارك لهم نبي الأمة الأمين (حاشا لله) بل أعدّ الله لهم نار جهنم فيها خالدين جزاء ما اقترفت أيديهم ليصبحوا من أصحاب الجحيم وبئس المصير.

﴿... الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2].

إنهم يقودون حرباً من نوع جديد.. حرب الاعتداء على الشرف والنزاهة.. حرب ذبح الأطفال وتدمير المدارس، حرب اغتصاب النساء وقتل الأمومة.. حرب سحق كرامة الإنسان المؤمن، قطع الرؤوس ورميها على قارعة الطرقات.. حرب مسؤولة عن موت آلاف الأبرياء، ونسوا قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].

إنها حرب واسعة من أجل تدمير الإنسانية وتدمير الحرية وزعزعة أمن واستقرار الناس، حرب جهادية ولكنها من نوع جديد يتزعمها متطرفون يحملون مبادىء لم تعرفها البشرية من قبل، حرب يقودها زنادقة العصر والزمان.. أئمة الكفر والنفاق إنها حرب زمر الشياطين الذين لم تتغير أفكارهم ومبادئهم وزاولوا عبادة الكفر في معابد الجاهلية في كهوف «قندهار».

إنها حرب جديدة لطالبان العرب تعلن فيها حرق الزرع وتدمير البيوت الآمنة وقتل النساء والأطفال وهتك الأعراض وتغيير سُنّة الله ورسوله.

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 126.

(1) سورة: البقرة، الآية: 89.

(1) سورة: البقرة، الآية: 190.

فما يقوم به هؤلاء الإرهابيون اليوم من أعمال بشعة تخجل منها البشرية لأنهم يقترفون أعمالهم بتفويض شيطاني بفتاوى شيطانية كافرة توعز على قتل الأطفال والنساء والشيوخ ويتبجحون في وسائل الإعلام أنهم المدافعون عن دين الله...

ما أعظم ما يتجرؤون به على الله من كذب وافتراء وتضليل، فالحرب الملعونة التي يقودونها على أرض الرافدين هي لعنة كبيرة ستصيبهم جميعاً..

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾[1].

ويبدو أن كهوف أفغانستان المظلمة قد أثرت كثيراً على عقولهم وإلا ما الكلمة المناسبة التي يمكن أن نطلقها على إنسان (مع العلم أننا نشكك في كلمة إنسان)!!! يقوم بتفجير جسده النتن المقرف وسط العشرات من المدنيين الأبرياء ليقطع أجسادهم إلى أشلاء مبعثرة محترقة متناثرة.. لأي سبب لا نعلم!!! يبدو لمجرد إعلان الجهاد.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2].

أجل، أصبح جهاد اليوم قتل المؤمنين، بينما كلنا نعلم أن الجهاد هو في سبيل الحق ودفع العدوان، إنما هؤلاء السفلة يعبرون عن أخلاقياتهم الساقطة وأفكارهم الدنيئة وعقولهم الجاهلة وهي محاولات يائسة هدفها القتل والدمار والتخريب.

إن ألاعيب المقاومة والجهاد التي يتبجح بها هؤلاء المجرمون من رواد العصابات المنظمة وقطاعي الطرق ومجاهدي الكفر والتمرد ومن يعاونهم في البغي والعدوان، لا يمكنهم أبداً أن يوقفوا آمال وتطلعات الشعب العراقي العظيم ولن يقدروا أن يعيدوا الماضي من جديد.. لأن شعب العراق قرر أنه لا مكان في العراق للقتلة الأجانب، وأن العراق للعراقيين.. ولا مكان للإرهابيين الجبناء ومهما كانت مخططاتهم الإجرامية فإنها فاشلة خاسرة مندحرة أمام القرار العراقي الموحد بإزالة الخوف والسير بثقة نحو مستقبل واضح ليؤكدوا للعالم أنهم شعب يستحق الحياة الهانئة.. وأنه شعب متحضر يستحق أن يعيش في ظل ديمقراطية نموذجية.. وأن الكرامة والحرية هي أمله في إنعاش مستقبل الأجيال القادمة.

---

(1) سورة: فصلت، الآية: 28.

(2) سورة: إبراهيم، الآية: 42.

إن مقتل الزرقاوي.. انتصار للديمقراطية وللشعب العراقي الصابر المؤمن وانتصار كبير للأبرياء الذين استشهدوا جراء عمليات الغدر التي قام بها... عندما أجاز بغير حق قتل كل العراقيين، فالفرحة التي أعلنها الشعب العراقي بموته هي فرحة حقيقية لكل أطياف الشعب سُنَّة وشيعة أكراداً ومسيحيين وتركمان، الذين هدر دمهم بفتاوى الضلالة. وستكون الفرحة العظيمة والعرس الأكبر يوم القضاء النهائي على عصابات الإرهاب في بلاد الرافدين ويعم السلام في ربوع وطننا الحبيب ونعمل معاً بحب وإخلاص لإعمار البلاد وكسر شوكة الإرهاب إلى الأبد، وتغمرنا العناية الإلهية بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1].

(1) سورة: النحل، الآية: 128.